

الصورة النصية في الكتاب المدرسي: الوظيفة والأثر

د/مصطفى غربي

قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة سيدي بلعباس

من الواضح أن مشروع الاستفادة من فضاء الصورة النصية في الكتاب المدرسي، يبدأ من دعوة المتلقي/المتعلم إلى إعمال مهارات التأمل والتركيز، ومحاولة رصد ما يتشكل منه ذلك الفضاء من مكونات أساسية وثانوية، مادية ومعنوية : (أشخاص، أشياء، أماكن، ألوان، حركات، سكنات، رموز..)، فيكون المسار التلقيني في هذا الاتجاه تدريجياً ومتنوعاً له حدوده ومجالاته التي لا تفارق الصورة النصية بأبعادها الشكلية والتضمينية.

هذا التمازج المتناغم واللا متناهي بين المرئي والمقروء على صفحات الكتاب، وما يصحبه من رغبة جامحة في التعبير عن مشاهد الصورة النصية عبر محاولة الانتقال من مكوناتها المرئية إلى "ترجمتها في عبارات وألفاظ تدل عليها وتوضح معناها"¹.

كل ذلك يجعل من الصورة النصية في الكتاب مصدر استقطاب لمجموعة من المهارات ومرتكزات التحصيل والاكساب المؤسسة للفعل التعليمي المنشود...فالتخييل والتوضيح والتدعيم والتعبير ومثيلها الآخر من المداخل التعليمية والأليات البيداغوجية، تستند جميعها إلى فضاء الصورة النصية في الكتاب وتعول عليه من أجل تشكيل فهم عميق، وإدراك كامل لمسارات تعليمية اللغة المختلفة (معاني المفردات، فهم النص، تعبير، تذكر، قواعد نحوية صرفية، إثراء لغوي..).

التخييل (Fiction):

يحضى عنصر التخييل في العملية التعليمية بأهمية بالغة باعتباره من "القدرات المعرفية الراقية التي ينفرد بها الإنسان عن سائر الكائنات الأخرى"².

وإذا كان النص القرائي في الكتاب المدرسي يستند، في عمومته، إلى عنصر الإثارة والتشويق بما يطرحه من موضوعات تتجاوز الواقع المادي الملموس لتنفذ إلى عوالم التخييل الذي يشكل "عملية عقلية لاسترجاع صور حسية مختلفة وأحداث من الحياة الماضية وتضمنها وتشكيلها لصور حسية وأحداث جديدة"³، فإن الصورة المرافقة لهذا النص لا تنفك تستجيب لمثل هذا التوجه وتعبر عنه.

في الكتاب المدرسي للمبتدئين، تتعدد بواعث التخييل التي تحرك رغبة التلميذ وتحفزه على اختراق عوالم هلامية مثيرة تتوزع محتوياتها بين الذاكرة والحكمة والفضيلة والفتوة

والعنفوان...عوامل تتقاسمها على سبيل المثال⁴: الحوتة الزرقاء ص14، وشجرة الرمان ص32 ، وانتقام النحلة عسولة ص100، ورحلة السندباد ص180، مع ما يصاحب ذلك من تساؤلات مستفزة ومطالب موجهة من مثل:

- تخيل قصة احكها لأمك أو لأحد زملائك ثم اكتبها في كراسك.ص23.
- اعط نهاية أخرى لهذه القصة ص33.
- تخيل قصة تشبه قصة السندباد واحكها لزملائك، ص181 .

تتعدد، إذن، مواطن التخيل في الكتاب وتتنوع أساليب الدعوة إلى إعماله وتنميته ليبقى هذا العنصر عبر الصفحات مصدرا أميناً للرؤية و"تشكيل الصور والرموز العقلية للموضوعات والأشياء والإحساس بها بعد اختفاء المثير الخارجي"⁵.

التوضيح :

يأخذ مصطلح (توضيح) في العملية التعليمية معنى "كل فعل أو حدث مصاحب لتقديم المادة اللغوية وشرحها، لتذليل الصعوبات وتسهيل قدرة الإدراك والاستيعاب لدى المتعلم، مما يجعله يكتسب المهارات المختلفة بعد تمثلها في صلتها الطبيعية لواقع الخبرة الحسي"⁶، وهو دأب كل سند تربوي أيا كانت صفته وطبيعة حمولته المعرفية حين يشغل على مادة تعليمية وافية هي أحوج إلى الشرح والتبسيط والمعالجة الميسرة من غيرها.

الكتاب المدرسي للمبتدئين لا يجانب هذا السياق ولا يناقضه ، فهو يحفل بدعامات مرئية وغير مرئية تمثل الصورة النصية أحد طلائعها لما تتمتع به من قدرات عظيمة على تفكيك معاني النص المقروء وإعادة بنائها وفق أشكال وألوان ومكونات متعددة ومتجانسة...فيتحول جميع ما فيها إلى مفتاح أو مفاتيح لفهم النص وترجمة معانيه.

إن تلقين اللغة العربية في الكتاب يعول، منذ البداية، وبشكل غير علني، على فهم المحتوى القرائي واستيعاب مقدراته اللسانية الكامنة، من خلال فضاء الصورة المتعدد والمتقاطع... وهو ما يتكرر بشكل نمطي مع مطلع كل محور وموضوع .. يجد هذا النوع من التفاعل بين النص والصورة، نموذجاً المثالي⁷ في ما أعقب نص "الطائرة" من واجب وتطبيق وعلى نحو:

اقرأ النص ولاحظ الصورة المصاحبة له ثم اجب عن الأسئلة الآتية (ص134):

- ما هما الجزآن الرئيسيان اللذان تتكون منهما الطائرة ؟
- ماهي الأجهزة التي تحتوي عليها مقصورة الطائرة؟
- ماهي فوائد الطائرة؟

التدعيم:

والتدعيم في مفهومه العام "جملة من الأنشطة التعليمية المندمجة، والتي تهدف بالإضافة إلى حصول التعلم لدى جميع التلاميذ (أو معظمهم) بشكل عادي، إلى تقديم تعليم فردي وقائي ملائم للنقص الذي يتم اكتشافه خلال المراقبة المستمرة"⁸، وقد يضيق هذا المفهوم أو يتسع عند الحديث عن الصورة النصية في الكتاب المدرسي عموماً ودورها في تعزيز علاقة المتلقي/المتعلم، بما يقبل على أخذه من مادة تعليمية تتوزع على مسارات متعددة ومختلفة ...

في الكتاب المدرسي يتخذ التدعيم أشكالاً وأبعاداً ومظاهر تبرز مدى حرص هذا السند البيداغوجي على محاولة تمكين التلاميذ من آليات التعامل مع المادة العلمية و"تحقيق الأهداف المرسومة حسب إمكانياتهم، وحسب متطلبات المستوى الدراسي الذي يوجدون فيه"⁹، وفي مختلف المواقف التعليمية .

الصورة النصية في الكتاب تدعم هذا التوجه التعليمي وتخدمه من جوانب عدة :

- دعم المكتسبات والمهارات اللغوية والتعبيرية، فمن خلال الاستعانة بمكونات الصورة والتدقيق في محتوياتها، قد يتعرف المتعلم من النص القرائي على معاني المفردات ويثري لغته ويستنبط فكرة النص وأفكاره الجزئية...
- دعم مخيلة التلميذ بما تمنحه الصورة النصية من الهام ورغبة جامحة في الانسلاخ من الموجود ومعاينة المتخيل...

على هذا النحو يكون التدعيم جزءاً رئيساً من مهام الصورة النصية في الكتاب فهو يغطي من خلالها شبكة واسعة من المسارات البيداغوجية ...

التعبير:

يندرج نشاط التعبير في الكتاب المدرسي ضمن الأهداف المسطرة التي وضعتها وزارة التربية والتعليم، بغرض تمكين التلميذ من مهارة الحديث واستعمال أساليب اللغة استعمالاً صحيحاً ومناسباً ...

وترسيخاً لهذا التوجه التعليمي تأتي الصورة الديدككتيكية المرافقة للنص القرائي في الكتاب لتسهم في تعزيز هذا المسعى، وتحقيق الغاية المنشودة منه، فالتعبير عن المشاهد المرئية هو نشاط "يميل إليه التلاميذ ويرغبون فيه، والمراد من هذا النوع من التعبير انتقال التلاميذ من المادة المرئية في الصورة إلى ترجمتها في عبارات وألفاظ تدل عليها وتوضح معناها"¹⁰.

ولضمان نجاح المرئيات الثابتة في "تنمية قدرة التلميذ على التعبير والاتصال شفاها وكتابة وكل ما يقتضيه الاتصال اليومي داخل محيطه"¹¹، فقد أوصت بعض الدراسات الحديثة¹² بضرورة معالجة هذا النشاط الفردي والجماعي عن طريق:

. عرض صور تمثل مشاهد معينة أو استغلال الصور الموجودة في كتب القراءة.

. عرض صور تمثل جزءا من قصة ثم مطالبة التلاميذ إكمالها.

. استغلال بعض معطيات نص القراءة والتوسع فيها.

لقد درج مؤلفو الكتاب المدرسي للتلاميذ المبتدئين، بعد كل نص وصورة، على محاولة إرساء معالم هذا التوجه التلقيني من خلال الموضوعات التالية¹³:

• لخص النص شفويا مبرزاً صفات لالة فاطمة نسومر(كما عرضتها الصورة وتحدث عنها النص) ص51

• تحدث (بالاستعانة بالنص والصورة المرافقة له) إلى زملائك عن الأجواء الحزينة التي عرفتها مدينة بودواو حتى تدفعهم إلى التضامن مع إخوانهم المتضررين ص91

لاشك أن مثل هذا التوجه في التعاطي مع الصورة النصية كتابة ومشاهدة، سيكون من ثماره المعلنه¹⁴:

- جعل المتعلم يستأنس بالأبجدية العربية نطقاً وكتابة.
- جعله قادراً على فهم اللغة العربية والتحدث بها .
- تمكينه من القواعد الصرفية والنحوية الأساسية التي يستعين بها لبناء التراكيب البسيطة التي ينشئها.

الإحالات:

1- دروس في اللسانيات التطبيقية، صالح بلعيد ص105، دار هومه للطباعة والنشر الجزائر 2000م.

2- التخيل موقع طارق السويدان ww.arabnet5.com 2010 .

3- نفسه، ومعنى التخيل أيضا ((انفعال ذهني لا واع تستجيب به النفس من غير وعي تبعاً لما تقتضيه الصور الفنية) (elidrissyoussef.arabblogs.com .

4- كتابي في اللغة العربية، السنة الرابعة ابتدائي، وزارة التربية الوطنية، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية 2010- 2011م الجزائر .

5- التخيل موقع طارق السويدان ww.arabnet5.com 2010 .

- 6- دراسات في اللسانيات التطبيقية- حقل تعليمية اللغات- أحمد حساني ، ص 153 ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 2000م.
- 7- كتابي في اللغة العربية، السنة الرابعة ابتدائي، وزارة التربية الوطنية ، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية 2010- 2011م الجزائر .
- 8- الفشل الدراسي وأساليب الدعم التربوي، محمد الدريج، 2012 ،
kawa.wowjdr.com
- 9- نفسه.
- 10- دروس في اللسانيات التطبيقية ،صالح بلعيد، ص105.
- 11- نفسه، ص105
- 12- نفسه، ص105.
- 13- كتابي في اللغة العربية، السنة الرابعة ابتدائي، وزارة التربية الوطنية ، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية 2010- 2011م الجزائر
- 14- دروس في اللسانيات التطبيقية ،صالح بلعيد، ص105.